

نظرات معاصرة في القرآن الكريم

(114) إِنْ لَّيْكَ كَمَا أَوحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالذَّكِّيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ (1).

فهذا الوحي النازل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم له سابقة تاريخية بما أوحاه الله إلى نوح والأنبياء من بعد نوح، فالقرآن إذن يبدأ حديثه عن وحي الأنبياء إعتباراً من نوح إلى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولهذا كان نوح عليه السلام هو المقدم في الذكر بعد آدم مباشرة، قال تعالى: (* إِنَّ سَاقِطَ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ *) (2). وكانت رسالة نوح واضحة المعالم بالدعوة إلى التوحيد، قال تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ نَزَّيْتُ عَنْكُمْ الْغَافِقُ فَلْيَعْلَمُوا بِيَوْمٍ عَظِيمٍ) (3). ولم تجد رسالة نوح آذاناً واعية، ولا أسماعاً صاغية، بل كان قومه من العتاة الطغاة المتكبرين، لذلك فقد صرح القرآن الكريم بقله من آمن مع نوح: (وَمَا عَمِنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ) (4)، وسلك العديد الأكثر طرق الضلال وعبادة الأوثان والأصنام في معزل عن الدعوة الإلهية إلى التوحيد، وتواصوا بالأبقاء على الأوثان: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا *) (5). والملاحظ هنا أن أسماء هذه الأصنام أسماء عربية، فهل كان نوح عربياً وهل كانت المنطقة عربية، وهل ورثوها من قوم عرب، إن لم يكونوا هم عرباً، هذا ما يجيب عليه علماء الآثار واللغات والحفريات. وكان قوم نوح بحيث أتعبوا نوحاً تعباً مضنياً، فلم يستمعوا له، ولم يستجيبوا لدعوته، بل قابلوه بما حكاه القرآن الكريم عنه: (وَإِنْ نَزَّيْتُ عَنْكُمْ الْغَافِقَ لَعَلَّكُمْ جَعَلْتُمْ أَسْمَاءَ بَعَثْتُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَسُوا وَاسْتَكَبَرُوا اسْتِكْبَارًا *) (6). بل ذهبوا إلى أكثر من هذا مع سماحة النبي وبره في الدعاء، ولين

(1) النساء: 163. (2) آل عمران: 33. (3) الأعراف: 59. (4) هود: 40. (5) نوح: 23. (6) نوح: 7.